

يا مصر .. أنت أمتنا ..

ناهض منير الرئيس

ليس لمجرد أن التاريخ القديم سجل علاقة لم تنقطع بين أحداث مصر الفرعونية وأحداث فلسطين الكنعانية وخلف آثارا فرعونية في جنوب غزة مثلا كما ترك ذكرا لأهل فلسطين على أوراق البردي في المواقع الأثرية المصرية .. وليس لمجرد تطابق الأبجديات الهيروغليفية والكنعانية والفينيقية والمسمارية التي أبدعتها الأمة الواحدة ذات الأصل الواحد في مرحلة طفولة البشرية .. ولا لأن هاجر المصرية هي أم إسماعيل وأن إسماعيل أبو العرب كلهم .. ولا لمجرد أن هاجر المصرية رسمت لنا الأشواط التي نمشيها ونهرول فيها بين الصفا والمروة منذ مشت وهرولت بينهما في ذلك الزمن البعيد .. ولا لمجرد أن محررك عمرو بن العاص هو ذاته في زمن الفتح الإسلامي محرر فلسطين .. ولا لمجرد أن أزهرك الزاهر حافظ على الكتاب والسنة للأمة الإسلامية كلها وفلسطين في جواره .. ولا لمجرد أن مصر الشقيقة أرسلت أبناءها جيشا وفدائيين وإخوانا مسلمين عام ١٩٤٨ إلى فلسطين للدفاع عن عروبته فاستشهد منهم من استشهد وجرح من جرح .. ولا لمجرد أن مصر الشقيقة حملت عبء قطاع غزة وآلاف اللاجئين الذين تدفقوا عليه بعد هزيمة الجيوش والتزمت منذ ذلك الحين بإدارته وتدبير معيشته .. ولا لمجرد أن طلابنا درسوا في مصر واكتسبوا من جامعاتها ومعاهدها علمهم وثقافتهم .. ولا لمجرد أن الزيجات والمصاهرات بيننا شملت بيوتا تعد بالآلاف وجعلت الشأن المصري داخل كل بيت فلسطيني والشأن الفلسطيني داخل كل بيت مصري ..

ليس لمجرد سبب من هذه الأسباب ولا لهذه الأسباب مجتمعة نقول إنك يا مصر أمنا وإن قلبك الكبير ملاذنا وصدرك الواسع ملجأنا من المصاعب . ولكننا نضيف إلى هذه الحقائق العقيدية والتاريخية وهذه الوشائج التي أثمرت بشرا وثقافة وذكريات معاشة شيئا قد لا يكون أشد أهمية من ذلك كله ولكنه شيء أخطر في حاضر الناس ومستقبلها وهو رابطة الالتصاق والاشتراط التي تقول إننا يا مصر نعيش معا أو نموت معا ! وإذا كانت فلسطين لا تقاس بمصر سكانا ولا مساحة ولا إمكانيات فإن موقعها في مواجهة إسرائيل جعلها خندقا أماميا أمام مصر والعرب والمسلمين . وإذا كان بعض المتغربين الجاحدين ينكرون رابطة العروبة والإسلام فليراجعوا تاريخ الفراعنة وليكونوا فراعنة كما يريدون . ألم تكن حدود أمن مصر منذ عهد الفراعنة ممتدة إلى بلاد الشام ؟

إنك يا مصر كنانة الله في أرضه وإن أجنادك كما جاء في الأثر خير الأجناد . وأنت ذخرك الأمة كلها . وأنت التي تصديت للصليبيين وحررت بيت المقدس وتصديت لهولاكو والتتار وحررت بغداد . وفلسطين الصغيرة محدودة المساحة والإمكانيات لا تقاس شيئا بجانبك ولكنها مع ذلك كبيرة الجدوى جليلة النفع في الحفاظ على الثوابت والذود عن حياض الأمة . إن فلسطين والفلسطينيين بمثابة طليعة الأمن القومي المصري مثلما أن مصر هي العمق الاستراتيجي لبلاد الشام وفلسطين .

وهذا الذي نقول ليس بالجديد ولا بالمجهول لدى الفلسطينيين . إنه من نوع المعارف الكامنة في صميم الخاطر أو في العقل الباطن أو في العقيدة القومية أو في الرابطة الإسلامية .

فلا يحسبن أحد من الناس أن تصرفا سيئا من هذا الجانب أو شتيمة عابرة من ذلك الطرف قد عبرت عن الرأي الحقيقي أو الموقف الجدي لهذا في ذلك أو لذلك في هذا . فوالله إنني لا أشك بوحدة الأمة . يقيني أن كل فلسطيني يغضب لفلسطين ويتطوع لنصرتها سيسارع إلى التطوع لنصرة مصر إذا دعا الداعي وانفتح السبيل . وكذلك الأمر عند كل مصري تدفعه عقيدته لنجدة فلسطين . وهذا أمر مجرب ومعلوم .

لم تتسلق امرأة فلسطينية سور رفح المصرية ولم ترفع صوتها بالاحتجاج إلا وهي تتطوي في قلبها على (دالة) لها عند الأمهات المصريات اللواتي يعرفن مبلغ حنان الأم وضيقها عندما لا تجد في بيتها دقيقا تعجنه لأولادها . ألا تهرع إلى أختها القريبة أو جارتها الحبيبة طلبا للشيء المفقود في بيتها ؟ فما بالنا والأخت القريبة والجارة الحبيبة هي الشقيقة الكبرى مصر التي قال فيها المرحوم أحمد رامي :

لا تبخلوا بمائها على ظمي وأطعموا من خيرها كل فم

وقال في مقطع آخر من القصيدة ذاتها :

يا مصر يا مهد الرخاء يا منزل الروح الأمين

إنا على عهد الوفاء في نصره الحق المبين

لا قول كان أشبه بمصر من هذا القول ، فهو الذي استشف روحها ووجدانها وتحدث عن عطائها عبر التاريخ .

ونحن الفلسطينيون نفهم مصر على هذا النحو . ولمصر في أعناق كل منا فضل ودين كبير . ولا أنزه الفلسطينيون عن مسلك عسبي قد يسلكه بعضهم ويخرجه عن طوره . ولكنها سحابة عابرة لا تترك أثرا . ثم تعود المياه إلى

مجاريتها والنفوس إلى ودها . وحسبنا باعثا على الود والإخاء شراكتنا في
المصير موتا وحياة وجدبا وخصبا وحربا وسلاما .

إن في مصر ذخائر الأمة كلها . ولا حسم لصراعنا مع أعداء الأمة إلا بمصر
. وأكاد أقسم بالله إن غيظ أهل مصر من أعداء الأمة أضعاف أضعاف غيظ
غيرها وإن ما تقدر عليه مصر أضعاف أضعاف ما يقدر عليه غيرها . ولكن
لكل شيء أواناً ولكل وقت أذاناً , حفظ الله مصر وأهلها أجمعين .

الخميس ٢٤ . ١ . ٢٠٠٨